

أنور شاؤل

مذكرات صبولة في اجتماعية

اسلوب مبتكر في نقد بعض المعايير الاجتماعية

نشرت متسلسلة في مجلة الحاصد الأسبوعية
في أعدادها 12 - 31 من سنتها السادسة
(16 تموز - 26 تشرين الثاني 1936)

(حقوق إعادة النشر بأية صورة كانت محفوظة لعائلة الكاتب)

فَسْأَلَ ثالث:

ـ ولا تنس ان دراسة الحقوق هي عبارة
عن حفظ مواد، فلا مذاكرة، ولا ناقشة،
ولا تطبيق... ولدي امتحان آخر السنة
فالله كريم .

ويعد أسبوع اذاع احد الشبان الثلاثة
الباقيين انه التحق بالبعثة الى كاليفورنيا للدراسة
الزراعية فسألته احد صديقه :

الآولين ... سأولك نك لم تكن ضمن الناجحين

ـ قد يكون ذلك ولكن هذه المسألة سهلة التداري^ي ما زال طالب الاتجاه «ظهور قوي» وابنهم فهم صديقاً مغزى كلامك

وقال له الا خرا

- عجب امرك يا صاح ، انت حسبي
اعرف مثال الى الآداب كارها للزراعة. هذا

جناة منزاج المران

هم شباب خمسة تخرجوا من المدرسة
الثانوية صيف عام ١٩٣٥ أكملتهم في الازانة
والعشرين وأصغرهم في العشرين . وفي سن
كهذه يكون المرء كثيراً الاحلام والآمال ،
فاثر الدم ، ملتبس الحماس .

ما زالت تذكر ذلك اليوم الذي تسلحتوا
فيه تائياً بامتحاناً لهم فـعاذت الأرض تسعم
لفترط سرورهم . لقد كانت المرة اليائمة
يقطفونها بعد اعوام من دراسة متعثبة .

كانت النقيب هم في مهمي الباب الشرقي
حيث يجلسون كل يوم منذ المطر حتى ساعة
متاخرة من الليل يتجاذبون شئ الاحديث
في مختلف الموضوعات وكان يستغرق صيفي
لاحديث رفقة طويلاً لاسمع فيه اردت ام
لم ارد ، طرقاً لا يأتين به من محاوراتهم
وبحاجة لاتهم واقاصدهم .

كانت انتظاراتهم جميعاً تتجه إلى الوظيفة
فراحوا يرتبونها بصير نافذ ولكن على
غير طائل . وفي مساعي أحد الأيام السجنب
اثنان من الميدان يقولهما أحدهما فضلا الدخول
إلى كلية الحقوق للحصول على شهادة عالمة :

من جهة ومن الجهة الأخرى فانت ضعيف
في اللغة الانجليزية :

فاجاب جواب الفيلسوف الوانق من
صحيح نظر ياته :

- هذا ايضاً شيء بسيط ، فالضعف
 يستطيع ان يتقوى بالدرس العاجل وسائلاتي
انا ضعيف باللغة الانجليزية اما عدم مبلي
الى الزراعة فذلك ما قد يكون باستطاعتي
التغلب عليه اثناء سفي الدراسة .. وعلى كل
حال فقد كانت فرصة فانهزما

* * *

وصرت اشهر والاثنان الباقيان من
«زمالة الحسنة» بمحترمان مساء كل يوم ..
في مقهي الباب الشرقي وكمت على عادني
استمع الى احاديثهما التي اخذت تجذب الى
التشاؤم والنقدة . كانوا يتصدان احدى
وظائف الحكومة على غير طائل فالوظائف
كانت قليلة والطلابون كثيرون . وفي مساء
احد الايام جاء احدهما منبسط الاسرار .

- اهلا بك ما وراءك يا عصام ؟

- اشتراكك اليوم في الامتحان لاحدى
الوظائف الصغيرة وقد كنت جيد موفق في
الاجابة . ان الدائرة الممتحنة بحاجة الى
خمسة موظفين . وكان عدد الممتحنين مائة
وسبعين وعشرين ومع ذلك فانا وانق
من التفوق على الجميع .

- قل ان شاء الله !

وكنت اشعر في اعمق قصبي برغبة صادقة
في ان الحصول على هذا الشاب على هذه الوظيفة
لينفرج عنه ما احقر به من هم فكمنت انشق
اخبار النتائج كل يوم وبعد عشرة ايام على
اداء الامتحان جاء صاحبنا يتعرث باذیال
الفشل وقبل ان يسأله صاحبه عن سبب
کآنه بادره هو بقوله :

- صح ما كنتم تنشئون به يا صاحبي
فقد حصل على الوظائف الخمسة شبان عرقناهم
في سفي الدراسة من اكسل خلق الله .
والاغرب ان البعض منهم تسلم مهمات الوظيفة
قبل اعلان النتائج .

ففاطمه صاحبه :

- وربما قبل اداء الامتحان .

كانت صدمة عنيفة اصيب بها هذان
الشبان في مطلع حياتهما العملية . وما هذان
الشبان الا نموذج لثبات من الشباب المضطرب
اليأس الذي يقضي اغلب اوقاته في المقامي
والبكازنوات .

قلت في نفسي ترى اي مستقبل ينتظر
الثلاثة الباقين من هذه الرسامة .. بعد ان
بنوا الدراسة العالمية . وحاولت بتفكرى
الفاصل ان اتفاءل لهم بجو رائق من الحياة
فلم استطع الى ذلك سيدلاً .

هذا وهناك فقط علمت الى اي منحي

معلم تسيير الدراسة الابتدائية وال المتوسطة
والثانوية بشبابنا المتعلّم . إنها

تسييرهم الى الحمول والنجود ، الى حياة
التفيد الاختياري ، الى حياة القلق والفرز
الى الوظيفة الحكومية ! يطرقون بها
فتحت لهم ام لم فتح ا

وحمدت الله على اني لم احصل على
شهادة ما !

مُحَاجَاتٌ خَاطِفَةٌ

محاولاً الانصراف . بينما بائع الحبز ظل
يُمْتَدُّ حُبْزَهُ بانه حار ولذيد ومشبع ا
وقبل ان اخطو خطوتين سمعت الشاب
يقول لي :

ـ هيا اصبع ا

ـ بينما اوماء الى « بائع الصمون »
بالانصراف فانصرف مذموماً حنقاً .

ـ حقاً اني كنت اود الا اتناول اجزأاً
عن هذه الصباغة ، ولكنني خشيت ان
اجرح كرامته اذا انا فاتحته برباعتي لذالك
صبت دون ان ابنيس بینت شفة ، وظل
هو الآخر مطرقاً يتطلع الى لمعان الحداه
بين يدي !

ـ وتناولت اجرني وانصرفت كسير البال !

* * *

ـ بالامس سمعت اثنين يتجادلان حول
معنى الكلمة « المبدأ » وكان الجدال عنفياً
بحيث اضطر احدهما الى شتم صاحبه ، فلقت
الآخر نظره الى ان الشتم سلاح مغلول ،
فكان الآخر يزداد شتماً وتدريداً ويحاول

ـ كثيرة هي المشاهد الالية في الحياة
ولكن ما تقع عليه الانظار قابل افلامك
خلف هذه الابتسamas عبوس مكتوب
وابلك وراء هذه الضحكات دموع حبيسة .
لا تغرك المظاهر - حق هذه المخلوقات
الجميلة المندام ، النظيفة الملابس لا تخدعنـك
بهر جتها . فهي قد تخفي عن عينيك حفائق
دامية .

ـ في مساء احد الايام دخلت مقهى لم
يكن فيه الا بضعة اتفار . تقدمت الى شاب
في مقتبل العمر ، ريان الصبا ، انيق الملبس
ووقفت بقربه انتظر اشارته للشروع
بالصبع : وكان قبل ان يلمحني قد نادى
ـ « بائع صمون » من بالشارع ليشرى منه
ما يسد به الرمق . ومد يده في جيبيه
واخرجها وادا بها تحوي على اربعة فلوس
فقط . فبدت علامات الاضطراب على وجهه
والظاهر انه لم يدر ما يعمـل ؟ ايستـرى
الحبـز ويعـدل عن الصـبع ام يصـبع حـذاه
وبيـقـي جـائـعاً . رأـيـتـ الحـبـزـ فيـ جـيـبـهـ ،
فارـدـتـ اـنـقـاذـهـ منـ المـأـزـقـ فـاذـرـتـ وجـيـبـهـ

فرض آرائه فرضاً فلهمت اذ ذاك ان الشام
كان على باطل وان المشتوم كان على
حق .

بكلمة مدبح او اطراه فارغى وازيد غاصبا
وصاح :

-أغرب عني ولا ترني وجهك بعد اليوم
فيما استاذي معلم اللغة ابن انت الآن
لاقول لك اجل انت « الصدق منهجا
والكذب مهواة » ولكن ليس مع كل
انسان ولا في كل زمان ومكان !

فالسباب والشتم بينات العاجز ولكنها
لا تكسب دعوى ١

* * *

انذكر ان من امثلة مدرس اللغة العربية
في ذهني الحكمة القائلة انت « الصدق
منهجا والكذب مهواة » .

وفي احد الايام الاسبوع الماضي كفت
التحادث مع احد زبائني فسألني عما اعتقاد في
اخلاقه فاجبته اني بالنظر لما شهدته منه
منذ سنة حتى اليوم ليس بوسعي ان اخذه

الى هنا نقف في هذه السلسلة الطريفة من المذكرات وعسى أن تتاح لنا فرصة أخرى
لوصل ما انقطع من خواطر صديقنا الصباغ الذكي